

الحوارات في القرآن الكريم

م.د. حسن محمود شكر

كلية الإمام الكاظم (ع) / قسم علوم القرآن

الكلمات المفتاحية: (الحوارية، الالهية، القرآن، ابليس، ملائكة)

ملخص البحث ..

الحمد لله رب العالمين والصلاة على أشرف الخلق أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين ..

أما بعد ..

فمن أبرز الأساليب الحكيمة والبلغية التي أستعملها القرآن الكريم، في إقامة الأدلة على وحدانية الله تعالى ، وعلى صدق الرسل الكرام صلوات ربي عليهم، فيما يبلغون من ربهم عز وجل ، أسلوب الحوار من أجل الوصول إلى الحق عن إقناع عقلي ، وأرتياح نفسي، يجعل صاحبه يعيش حياته وهو ثابت على من أمن به ثباتاً لا ينازعه ريب، ولا يخالطه شك.

وقد أتبع الباري عز وجل هذا الأسلوب - أسلوب الحوار - وأمر اتباعه، بأتباعه لما له من أنصع الأدلة، وأقوى البراهين ، التي تقنع العقول السليمة ، والقلوب الطاهرة ليزداد المؤمنون إيمانهم وتترسخ العقيدة عندهم.

وارتيايت أن اقسام الموضوع الى ثلاثة مباحث وخاتمة، والنتائج التي توصل لها البحث.

المبحث الاول : الحوار لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني: الفرق بين الحوار والجدال

المبحث الثالث: بينت فيه نماذج من الحوارات الالهية ، مثل حوار الله سبحانه مع الملائكة ، حوار الله سبحانه مع ابليس ، حوار الله مع نبيه نوح عليه السلام ، وحوار نوح عليه السلام مع ابنه ، وأخيراً حوار الله سبحانه مع نبيين من انبياء أولي العزم هما ابراهيم وموسى عليهما السلام.

**The Dialogue in Holy Quran.
Hassan Mahmud Shuker
Department of Sharia
College of Imam Kadhimi(p)**

Keywords: (dialogue, divine, Quran, Satan, angels

Abstract

The holy quran used dialogues to reach the tr

There was a dialogue between Alaah (God) and his angels , and there was his dialogue with Lucifer, and there was a dialogue between Alaah (God) and his prophet Noah, and between Noah and his son as well.

There was another conversation between Alaah and both of prophets, who are Ibrahim and Moses. (Peace be upon them) he used these example to show us the need to conversation to reach for the truth.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد وآله الطيبين الطاهرين وبعده..

المقدمة

إن من أرقى الأساليب الحكيمة والبليغة التي استعملها القرآن الكريم في إقامة الأدلة على وحدانية الله تعالى وعلى صدق الرسل الكرام ، فيما يبلغون عن ربهم عز وجل هو أسلوب الحوار من أجل الوصول إلى الحق عن طريق إقناع عقلي وارتياح نفسي، يجعل صاحبه يعيش حياته وهو ثابت على ما أحرزه ثباتاً لا ينازعه أي ارتياب واعتقاداً لا يخالطه شك . وإذا علمنا أن المحاوره تدور بين (قال ، يقول) والمراجعة بين الناس في أمور معينة.

وسنرى في هذا البحث أن الخالق جلت قدرته ، ذكر في كتابه الكريم حوارات وحوارات وما يشق منها تكررت أكثر من ألف وسبعمائة مرة ؛ ليبين لعباده الطريق الأصوب والأنجح في حواراتهم ، لتستفيد منه القلوب الطاهرة والعقول السليمة التي تجعل المؤمنين يزدادون إيماناً على إيمانهم كي يعيشوا سعداء ومصدرهم في ذلك القرآن الكريم فهو الصادق المصدق والمرجع للعلوم بإجماع المسلمين . (اجماعاً نقلياً وعقلياً).

ولكن كما أشرنا سابقاً الحوارات القرآنية كثيرة قد لاتجد صفحة في كتاب الله سبحانه إلا وفيها حوار أو اشتقاق للحوار منها: حوار الله مع الرسل ، حوار الرسل مع قومهم ، حوار الصالحين مع الكفار ، حوار الإنسان مع جوارحه ، حوار أهل الجنة لأن الإنسان بطبيعته يحتاج إلى من يتكلم معه ففي الجنة حوارات وحوارات جاء

وصفهم ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾^(١) . ومن سياق الآية إنهم متقابلون للحوار والتحدث ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَلُونَ﴾^(٢) .

حوار الإنسان مع من يدخل معه من الأزواج والذريات من صلح منهم .
وكما بينا سابقاً أن الإنسان لابد له مَنْ يتكلم معه " من سياق الآيات المباركات نستنتج أن الرسول الاعظم استعمل هذا المنهج كعقوبة مع ثلاثة من الصحابة^(٣) وهم:

١- كعب بن مالك

٢- مرارة بن الربيع العامري

٣- هلال بن أمية

وهؤلاء الأشخاص تخلفوا عن المسير مع رسول الله في معركة من المعارك رضوا أن يكونوا مع القواعد . وبعدها جاعوا الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) معتذرين نادمين طالبين العفو، ولكن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) أمر المسلمين أن لا يكلمهم أحد ، حتى نساءهم جنن إلى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قلن ماذا نفعل معهم؟ قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قدموا لهم الطعام والشراب ولكن لا تكلموهم^(٤) عند ذلك نزل قوله تعالى :

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّا لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٥) .

والآن في العصر الحديث هناك عقوبة "السجن الانفرادي" وهو من أنواع العذاب النفسي يوضع السجين في زنزانة منفرداً ، ولا يكلمه أحد أو يسمح له بالكلام ، فلهذه العقوبة تأثير نفسي قاسي ، يُعطى له الطعام والشراب ، ولكن لا يستطيع ان يتكلم مع

أحد فالإنسان بطبيعته ميال للكلام أو الحوار مع زوجته ، أولاده ، من يعمل معهم ، فهو إجتماعي بطبعه.

أما المبحث الاول :

تضمن التعريف بالحوار لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني : بحث عن الفرق بين الحوار والجدال.

المبحث الثالث : هو صلب هذا البحث ، فقد بينت فيه نماذج من الحوارات الإلهية.

أما الخاتمة فكانت لأهم النتائج التي توصلت إليها. وأخيراً حرصت على أن أكون محيطاً بأصول البحث العلمي قدر الإمكان ، ومع كل هذا الحرص فإنه لا يخلو من هفوات وتقصير لأن الكمال لله سبحانه وتعالى.

أسأل الله أن يوفقني لما يحب ويرضى وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم. والحمد لله رب العالمين.

ملخص البحث: إن هذا البحث يهدف إلى أن يكون الحوار والمحاورة هادفاً ليستفيد ويقتدي بها كل من بوسعه أن يحاور ليظهر الحق ويثبت أن فكرته صائبة لتحسين قواطع التنافر والتجانس بين أفراد المجتمع الإنساني .

إظهار خصائص القرآن الكريم بما يحمله من أهداف إنسانية راقية ، وذلك من خلال التواصل مع الآخر ، فالحوار الموجه والنية الخالصة والهدف الهداية والصلاح من مساءلة الكلام الطيب ، والمجادلة بالتي هي أحسن هو أسلوب جزائي فتحه لنا كتاب الله العزيز لنسلكه في حواراتنا العفوية والفكرية ، ولابد لنا أن نذكر أن القرآن الكريم بحواراته لا يتقيد بزمان أو مكان أو عدد الأشخاص أو النية التي حدث فيها الحوار .

إذا أردنا أن نعيش سعادة ، لابد لنا من أن نستنتج آداب ومهارات في حواراتنا لقراءها في حياتنا اليومية ، ولابد لنا من الرجوع إلى مصدر يبين لنا أهمية الحوارات وشروطها ومن أولى بذلك غير القرآن الكريم ، فهو المصدر الصادق المصدق والمرجع بإجماع المسلمين، الإجماع النقلی والعقلي، وهو مصدر للعلوم والمعارف فهو القادر على أن يعلمنا الحوارات وآدابها لأجل إسعادنا في حياتنا وفي آخرتنا. (٥)

ومن أمثلة الحوارات التي ذكرها القرآن الكريم هي:

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝١ ﴾ (٦).

"قال له صاحبه وهو يحاوره أنا اكثر منك مالا وأعز نفراً ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبدي هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً * قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً " (٧).

المبحث الاول : الحوار في اللغة والاصطلاح

الحوار في اللغة : مأخوذ من الحور هو : الرجوع عن الشيء إلى الشيء..

والحوار : النقصان بعد الزيادة ، لأنه رجوع من حال إلى حال.

المحاورة : المجادله / والتحاور : التجاوب.

المحاورة : مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة.

والحور : أن يشتد بياض العين وسوادها وتستدير حدقتها ، وترفق جفونها.

الحوار في الاصطلاح : كلام يدور بين اثنين أو طرفين ، ولا بد أن يتحدث كلا

الطرفين ، من خلال تداول الكلام بينهما بطريقة ما ، فلا يستأثر به أحدهما من دون

الآخر ، ويغلب عليه الهدوء . وقيل : هو مناقشة بين طرفين أو أطراف يقصد به

تصحيح كلام، وإظهار حجة ، وإثبات حق ، ودفع باطل أو يشتبه بالرأي الصحيح.

وكلمة الحوار كلمة جميلة رقيقة ، تدل على التفاهم والتجانس. لأجل تحقيق الحوار

مقاصده ، ومنعاً من أن يتحول إلى خصومة ، نؤكد أن للحوار أصولاً متبعة ، يجب

مراعاتها ، ففيها آداب ومهارات متكاملة تحملها العقول الراقية ، لا تحمل المناطقة

والمخاصمة ، والمنازعة^(٨).

وإذا أردنا أن نعيش سعداء، لابد أن نستنتج أدب ومهارات في حواراتنا، لنمارسها

في حياتنا اليومية. ولا بد من الرجوع إلى مصدر يبين لنا أهمية الحوار ، ومن أولى

بذلك عند القرآن الكريم ، فهو الصادق المصدق، والمرجع للمسلمين بأجمعهم، النقلي

والعقلي والقرآن الكريم قادر على أن ينظم حواراتنا.^(٩)

المبحث الثاني : الفرق بين الجدل والحوار :

الحوار والجدال يلتقيان في أنهما حديث أو مناقشة بين طرفين، ولكن يفترقان بعد ذلك.

الجدال لغة : هو الإلحاح في الخصومة ، والقدرة عليها .

يقال جادله : خاصمه ، والاسم الجدل : وهو أشد الخصومة ومثل الجدل : مقابلة الحجة بالحجة.

المجادلة : المناظرة والمخاصمة^(١٠)

الجدال اصطلاحاً هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة ، والمثل الأصلح في الجدل : الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة. والجدل نوعان ممدوح ومذموم ، والجدل مذموم إذا كان المجادل يتلذذ بالخصومة. والتعصب لرأيه من دون وجه حق ، فقد وردت كلمة (الجدل) في القرآن الكريم في تسعة وعشرين موضعاً كلها من قسم الجدل المذموم . والمجادل بقصد الغلبة أو الرياء أو بغير علم أو مكان مناسب، أو يقصد الجدل فقط كما قال تعالى ﴿ وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾^(١١) ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ﴾^(١٢) ﴿ وَجَادِلُوا بِالْبَطْلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾^(١٣).

أما الجدل الذي مدحه الله سبحانه وتعالى أو أباحه الجدل الذي يمتاز بالهدوء وطلب الحق والحقيقة قال تعالى " ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن ﴾ ولا تجادلوا

أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿٧٥﴾ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ
﴿٧٦﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ فكلمة حوار اوسع من الجدل والهدف هو
الوصول إلى الحق دون أي ضرر أو كلام غير لائق وهو سؤال وجواب^(١٦).

شروط الحوار والمحاورة:

١. المتحاور عليه أن يتخلى عن التعصب لوجهة نظره ودليله قوله تعالى ﴿وَإِنَّا أَوْ
إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.
٢. الإحترام المتبادل والإنصات وعدم الاستعجال والمخاطبة بأفضل الأسماء والكنى
والألقاب ، والابتعاد عن السخرية ، والالتزام بالقول المهدب ، وعدم احتقار الآخر
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ﴾ ^(١٧) ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بَغِيًّا عَلِيمٌ﴾ ^(١٨).

وبعد هذا العرض عن الحوار وفوائده والجدال وأقسامه

نستنتج أن من يحسن الحوار يحسن التأثير ومن يحسن التأثير يستطيع أن يغير ، ومن
هذا المنطلق يتبين أن الحوار لغة القرآن ، وقد قضى الله سبحانه أن تكون علاقته
جل شأنه مع مخلوقاته قائمة على الحوار الاجتماعي ، وليس على أساس القهر.
وسنبين بعض الحوارات القرآنية.

المبحث الثالث : نماذج من الحوارات الالهية

يتضمن هذا المبحث قسمان :

القسم الأول حوار الله مع الملائكة وإبليس ، ويتضمن :

١- حوار الله سبحانه مع الملائكة

٢- حوار الله سبحانه مع إبليس عليه اللعنة .

القسم الثاني : حوار الله سبحانه مع أنبيائه:

أ- حوار نبي الله نوح (عليه السلام) مع ابنه ، وحوار نوح (عليه السلام) مع الله سبحانه.

ب- حوار الله سبحانه مع أنبياء من أولي العزك (إبراهيم وموسى)

١- حوار الله سبحانه مع الملائكة

هذا الحوار سيكون خارج حدود الماديات وما وراء الطبيعة قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ (١٩) الأرض معروفة / الخليفة لم يخلق وهو آدم . فجاء جواب الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (٢٠) .

قال تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢١) .

وهنا عجب من الملائكة (أَتَجْعَلُ فِيهَا) وهذا العجب من الملائكة عن الخليفة الذي سيكون عاصياً ويسفك الدماء . وهنا همزة استفهام ليست للإنكسار بل الحكمة الحقيقية ما زالت الشك والريبة (٢٢) .

يتبين من المحاوراة أنها تدور بين خالق الكون والبشر وبين مخلوقاته ، وتكمن أهمية المحاوراة ، في أن الله بعظمته وقدرته وسلطانه يحاور مخلوقاته ، وهو درس لنا

نحن البشر. الله سبحانه قبل حوار الملائكة ، وهو يعلم ما سيقولون ولكن الدرس لنا لإشاعة لغة الحوار بيننا ، فهذه المحاورة تبين لنا قبول الحوار بينكم ، وهو خطاب لجميع البشر ، ولا نغلق الباب مع أي فريق من الناس مهما كانت مواقفهم والرسول الأعظم (ﷺ) يقول "نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم" (٢٣).

ثم يُشرف الله سبحانه وتعالى آدم على الملائكة ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣١) ثم أمر آدم ﴿ قَالَ يَتَّكِدُمْ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ " قال تعالى ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٢٤) وهو درس لنا نحن عباده ، والله سبحانه يعلم جواب الملائكة من المحاورة نستنتج اننا علينا بقبول الحوار .

ويقول السيد محمد حسين فضل الله : كانت الملائكة يسبحون ويقدمون الله سبحانه في ابتهاج وخشوع وإخلاص ، ويشاء الله سبحانه أن يخلق الإنسان ليكون خليفته في الأرض ، ويعلى لهم هذه المشيئة الحاسمة وينتهي الحوار "اني أعلم ما لا تعلمون". فهذا الأسلوب القرآني لتغيير فكرة خاطئة وتزليل الشبهة ومن ذلك ذيل الآية هو جواب لسؤالهم أي اعلم صفات المخلوق وما يحمله من الصلاح والفساد ، وان صلح عمر الأرض وفيه مصالح للبشرية ، وأبناءؤه سيكونون متفاوتين في الميول وال رغبات والمراتب وعلمه محيط ما لا يعلمون (٢٥).

ولابد لي ان اذكر ان حوار الله سبحانه مع الملائكة لم يكن حواراً بوصفهم معارضين للمشيئة الالهية ، وانما يوصفهم مستفسرين عن الحكمة في استخلاف البشر وتبيان حرية الرأي.

٢- حوار الله سبحانه مع إبليس

بعد أن أثبت الخالق للملائكة أحقية آدم بالخلافة حتى جاء قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٣٤) ﴿٢٦﴾ قال تعالى ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (١٢) ﴿٢٧﴾ وفي سورة الكهف ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (٢٧).

قليل شرح المحاورة لا بد لنا أن نذكر أن السجود هنا سجود تكريم لا سجود عبادة. قال تعالى في إخباره عن سجود اهل يوسف له ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ (٢٧).

ان الحوار هنا قد تحول إلى الجدال ، وجدل إبليس هو خروجه عن طاعة الله سبحانه، وهو واضح من خلال قوله تعالى ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (٧٦) ﴿٧٦﴾ من أين له أن النار أفضل من الطين؟ وهو قياس خاطئ. ومن خلال هذه المحاورة، تبين لنا كيف أن الله سبحانه حاور من تمرد على أوامره، ولا سيما هذا المخلوق، الذي صنعه بيديه ، يقبل منه المجادلة في أمر إلهي. والله سبحانه هو رحمة ، والله الرحمن ، الرحيم ولم يعاقبه (٢٨) .

ويتضح هنا تقبل الآخر ، وإذا قسنا الأمر على وضعنا الحالي أجد المقارنة مستحيلة ، فنحن إما مؤيد متخلٍ عن رغبة المعرفة والعلم ، وإما رافض بالطريقة نفسها وكلا الطرفين يبدع في سبيل التجيش وقذف الآخر.

وإذا كنا ندعي أننا متدينون على وفق ما نعتقد ، فلا بد أن يقودنا التدين إلى قبول الآخر بصدر رحب ، وهذه المحاورة قدوة لنا في مسيرتنا: نتعلم منها ان الله سبحانه اعطى فرصة لإبليس ، التحدث والتدبير ، وطلب إبليس من الباري عز وجل ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٧٩) وحقق الله سبحانه طلبه . المهم أن تستفيد من الحوار حتى تجلب الآخر إليك. أو يتبين للناس زيف دعوى المقابل كما في المحاورة أعلاه مع اللعين إبليس.

وتبين لنا أن إبليس عليه اللعنة اختار الطريق بكامل وعيه ، وأنه فشل في الاختبار ، ولذا أراد الانتقام من ذرية آدم ، فيهيأ لهم وسائله الخبيثة ، ليفشلوا كما فشل هو، والله سبحانه توعده وتوعده من يسير على نهجه وخطاه والوقوع في شباكه وحبائله في العذاب(٢٩) .

القسم الثاني : حوار الله سبحانه مع الصفوة المختارة من عبيده وهم الأنبياء، ومن هذه الصفوة المختارة:

(١) الأب الثاني أو شيخ الأنبياء نوح عليه السلام ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدَّ آمَنَ ﴾ (٣٠)

عندما بلغ طغيان قوم نوح عليه السلام وطفح الكيل، ولم يستفيدوا من نور هداية نوح عليه السلام، وبلغ من عنادهم وجبروتهم أن أوحى رب العزة لنبيه نوح عليه السلام (لم يؤمن من قومك) وصدر الأمر الرباني بصنع السفينة ، وجاءت الأوامر الآلهية، أن يركب بسفينته من كل زوجين اثنين، من الأشياء ومن الذين آمنوا معه وأهله إلا من أوحى إليه بإستثناءهم.

وهنا بدأ طوفان من السماء كأفواه القرب ، ومن الأرض ينابيع ، السفينة تجري كما وصفها الباري عز وجل على الامواج كالجبال.

وعندما يلتفت نوح عليه السلام ، ليجد ابنه في معزل ولم يركب معه هنا تنور الشفقة والحنان لتملاً كيانه ، ليدعو ابنه أن يركب معه، ويكون جواب الابن العاق ساوي الى جبل يعصمني من الماء، وجاء جواب الاب ﴿عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجِمَ^{٤٣} وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ^{٤٣}﴾ (٣١). وهنا يأتي سؤال لماذا الأب يدعو ابنه؟ وذلك لأن الابن له مقام سوء وكان منافقاً يخفي الكفر ويظهر الإيمان وظن نوح أنه مؤمن لذلك دعاه.

وعندها دعا نوح ربه ﴿رَبِّ إِنِّي أَنبِئُ مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ وهنا جاء جواب الباري عز وجل ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ^{٤٤} إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ هنا تبين أن علاقة نوح عليه السلام بالناس علاقة ايمان وليست علاقة نسب ، وهذا الابن العاق لا يمكن ان يرتبط بك . وجاء الجواب الرباني القاطع ﴿إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَسْأَلَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ^{٤٥} إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ

والأنبياء عليهم السلام وما جلوا عليه ، وتربوا من التسليم للخالق سبحانه ، أن يسألوا ماليس لهم به علم ، لذلك ينبري نوح عليه السلام ويلتجئ ويسأل ربه ، أن يعصمه عن سؤال ما ليس له به علم ، ولا يقترح عليه ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنَ مِنَ الْخَسِرِينَ^{٤٦}﴾ .

وهنا نوح عليه السلام يستدرك ويقول : اعوذ بالله : أي التجئ إلى الله أعوذ وعايذه وجاء تفسير الاستعادة إنها حالة نفسية قوامها الخشية والثقة بمن يستعاذ به ، وهي ممارسة عملية بابتغاء ومرضاة من تستعيز به (٣٢).

ومن خلال استعراضنا لمحاورات نوح عليه السلام الأولى مع ابنه والثانية مع الخالق سبحانه ، إن نوح عليه السلام عندما استتجد بالله في نجاة ابنه لان هناك وعداً بأن يدخل بالسفينة أهله ، لذلك يتبين له أن الأهلية ليست بالقراية إنما بالايمن .

عند ذلك طلب نوح عليه السلام الاستغفار والرحمة والمغفرة لابقاء روحه صافية اهرة نقية . وهو ضرب من ضروب التأدب والتودد من الإقدام على المسؤول ومن هو هذا المسؤول أنه الله سبحانه وتعالى. وهنا تسائل من صاحب تفسير الأمثل عدة تساؤلات يقول : إن أبواب التوبة تغلق بعد حدوث العذاب ، فكيف نوح عليه السلام دعا لابنه — وهو لم يركب السفينة — فيحتمل أن مشروع الطوفان في بدايته ولم تكن هناك علامة للطوفان ، وانما هو مطر عادي لذلك قال الولد العاق "سأوي إلى جبل " ظنناً منه أن المطر طبيعي — فنستنتج أن أبواب التوبة ما زالت مفتوحة.

وسؤال آخر للشيرازي ، قوله :لماذا نوح عليه السلام طلب من ابنه، وحاوره في الدخول في السفينة، ولم يطلب من الآخرين الدخول بالسفينة ذلك لإن نوح عليه السلام انتهت وظيفته التبليغية ، أما وظيفة الأبوة مع ابنه وظيفه أخرى غريزية، واحتمال كما بينا أنه كان منافقاً، يظهر الإيمان ويطن الكفر، ((وكان في معزل)) فأراد نوح عليه السلام أن ينقذه.

وتنتهي هذه المحاورات بين الله سبحانه وتعالى وبين نوح عليه السلام وبين نوح وابنه لتربيننا والافتداء بهم. ومن آداب حوار نوح عليه السلام مع ربه اعترافه بالخطأ وهو شيخ الأنبياء ، وأبو البشرية الثاني ، وهذا طريق الأنبياء والصلحاء والاتقياء وقبل نوح عليه السلام اعتراف ادم وحواء ، وبعد موسى عليه السلام "ربي

اني ظلمت نفسي ... "فالتصاغر والتذلل ، والإقرار بالذنب أمام جبروت السموات والارض ، فلا خروج من الذنب إلا الإقرار به ، وجاء الائمة عليهم السلام وهم من يكمل رسالات الأنبياء لهم مناجاة وأدعية ليبينوا للأمة كيفية الاعتراف أمام من لاتخفى عليه خافية ، والاعتراف في الدنيا مقبول وفضيلة لصاحبه.

أما في الأخرى فلا يقبل من المعترف قال تعالى " واعترفوا بذنوبهم فسحقاً لأصحاب السعير "(٣٣).

إن الذي يمنع الانسان من الاعتراف بالخطأ هو الشيطان الذي يوسس للإنسان ، فيمنعه من الاعتراف أو يسوق له في مظاهر ذلك الجدل / التكبر / الغضب وسائل شيطانية ، تمنع الإنسان من الاعتراف ، أما الأنبياء والائمة منهم قاهرون الشيطان. (٣٤)

٢- حوار الله سبحانه مع نبيين من أولي العزم ابراهيم وموسى (عليهما

السلام)

توطئة

من اللازم عليّ أن أبين لماذا جمعت حوار الله سبحانه مع نبيين إبراهيم وموسى (عليهما السلام)؟ ذلك لأنهما يشتركان في هدف واحد بينهما.

النبي الأول : إبراهيم عليه السلام :

ولابد أن أذكر أن لإبراهيم حوارات كثيرة منها مع طاغية عصره (نمرود)، ومع مشركي عصره ، وإنما ذكرت هاتين المحاورتين لأهميتهما لما فيهما من الآداب والمهارات التي نتعلم منها ونطبقها في حياتنا اليومية وذكرت هذه المحاوراة لأن يمكن عدها الجامعة المصادفة للقضية إذ حوت في الغالب إن لم أقل كل الآداب والمهارات.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لِّيَطْمِئِنَّ قُلُوبِي﴾^(٣٥) إذا نظرنا للسؤال من النبي وهو من أولي العزم نستغرب وإذا سأله أحدنا يكون جوابنا هذا سؤال غريب^(١).

ولكن المولى جلت قدرته أجابه بحنان ورقة ، وعطف ، من دون توبيخ ، ولا وعيد ، كما يحدث بيننا ، وإبراهيم عليه السلام سؤاله فيه من الآداب والثناء ، فهو مؤمن بالمعاد وطلب الزيادة من أجل العلم والمعرفة ، وهي محاوره بين خليلين ، قال تعالى ﴿فَخَذَ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصَرَّهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلَ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعَاهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾

هذا درس عملي لأبي الأنبياء عليه السلام لممارسة العمل بنفسه والأمر (خذ) فعل أمر داخل على حدوثه فعلاً لا مسؤولاً أي : إن الامتثال بالأمر والتبليغ يكون بالعقل كما أمر إبراهيم عليه السلام ليرى بعين اليقين.

ويقسم العلم على ثلاثة مراتب هي :

علم اليقين : يكون بالسمع.

عين اليقين : يكون بالبصر.

حق اليقين : يكون بالحواس أو بالقلب^(٣٦).

وعين اليقين هي بغية إبراهيم عليه السلام ، سبب سؤاله زيادة لنفسه وطمأنينة لقلبه ، فيسكن القلب عند المعاينة العملية. وتمت بأخذ أربعة من الطير وذبحها وخلط لحمها ثم يقسمها عدة أقسام ويضع على كل جبل قسماً منها ، ثم يدعو الطيور إليه ، وعندئذ يرى بعينه مثل يوم البعث ، فامتثل إبراهيم عليه السلام ، واستولت عليه الدهشة لرؤيته أجزاء الطيور تتجمع وتأتيه من مختلف النقاط وقد عادت إليها الحياة. وإذا نظر للآيات فكلمة (رب) فيها اعتراف بالعبودية ، لبيان تام العناية بمن يعبد ، وتربيته العظمى له وفيه كمال الثناء على الباري عز وجل ، فهي وسيلة من وسائل الحوار ولاسيما الدعاء المبدوء بكلمة (رب) تكون موضع إجابة. وعلينا الاستفادة

(١) سورة البقرة / ٢٦٠..

من آداب الحوار فيما جرى بين إبراهيم عليه السلام ورب العزة لما فيه من دروس. (٣٧)

أما النبي الثاني فهو موسى عليه السلام

هناك ارتباط بين قصة إبراهيم عليه السلام وقصة موسى عليه السلام والله سبحانه لم يلومهما وإنما حاورهما بالسؤال وكما بينا أن إبراهيم (عليه السلام) قال كيف تحي الموتى" كذلك موسى قال ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٨).

والرابط بينهما هو أن الله سبحانه أجابهما بدليل عملي ، وهو أفضل الحوارات ، التي يتيقن منها المقابل ، فجواب الباري عز وجل لإبراهيم (عليه السلام) لا يحتاج إلى تاويل أو فلسفة ، وإنما عمل قام به إبراهيم لنفسه ، أما موسى عليه السلام ((ارني)) هو سؤال عظيم من نبي عظيم ولكن الباري عز وجل أعطاه دليلاً عملياً ﴿أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي﴾ . وهنا حدثت المعجزة عندما حدث التجلي خر موسى صعباً . وللنظر في كلمة "تجلى" فيها عدة معان . وهنا شرط من الباري بينه لموسى عليه السلام " إن استقر " وإذا لم يستقر لن تراني ، هذا بالنسبة للجبل ، فكلمة (لن) تأكيد النفي الذي تعطيه "لا" فـ " لا " تفيد النفي للمستقبل (٣٩) وهنا حدثت المفاجئة لموسى عليه السلام " وخر " ولم يسقط بتأثير الصدمة أو الصعقة فلما أثاب له وعيه وإنه سال أمراً (٤٠) . مالا ينبغي له قال (سبحانك تبت إليك) عن سؤال الرؤية وأنا أول المؤمنين

وتبين لنا من المحاورات، أن إبراهيم عليه السلام قال كيف؟ أما موسى عليه السلام فقال أرني والله سبحانه أجابه من دون مقدمات ، وتجلي سبحانه للجبل فسؤال موسى كيف فكانت النتيجة أن صعق موسى عليه السلام.

والذي أراه أن موسى (عليه السلام) لما تشرف بكلام الله سبحانه هاج به الشوق أن يرى ربه ، فطلب ذلك. وهو شأن كل محب مع من يحب ولكن الله سبحانه وتعالى أخبره أنه لن يراه.

والدرس التربوي من المحاورتين أن الخواطر، الشبهات ، والوساوس، والأفكار مما يتسلط به الشيطان على عباده الصالحين ، ولابد من اليقين ومعينة الحقيقة^(٤١).

الخاتمة وأهم النتائج التي توصلت إليها في البحث:

بعد أن استكملت خيوط البحث والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات كان لابد من الإدلاء بأهم النتائج وهي كالآتي :—

١. الحوار نوع من الحديث وكان بين رب العزة وأحد الانبياء (عليهم السلام) ولا بد أن يغلب عليه الهدوء ولا يستأثر أحدهما بالحديث دون الآخر لذلك استعمله القرآن الكريم.

٢. الجدل أوسع مدلول من الحوار . فأكثر أنواع الجدل خصومة ، بينما الحوار يتسع له ولغيره.

٣. القرآن اهتم بالحوار ويحرص على استخلاص مهارات وآداب منه.

٤. للحوار أهداف متعددة تستهدف الحقائق ، ويقيم عليها البراهين .

٥. الإسلام دين الحوار بشرط الوصول إلى نتائج ، لذلك الحوار القرآني يربي العقل على سعة الأفق ، وحب الاطلاع بعيداً عن الجدل والكره والخصومة.

٦. إن ارتباط الحوار بالأخلاق الفاضلة والآداب الإسلامية فالحوارات القرآنية فيها دروس وعبر .

٧. تجد في الحوار الإخلاص والنية وغرضها القرب من الله سبحانه وليس هدفها الخصومة.

٨. يجب أن لا يكون أحد المتحاورين متكبراً على الآخر ولنا في حوار الله سبحانه وتعالى مع عظمه وكبريائه مع عدوه إبليس مع علمه بما سيتكلم إبليس .

٩. حوار الله سبحانه مع الملائكة وهم خلقه ويعلم مايفكرون به وما سيتكلمون .

١٠. الرقة والعطف والرحمة عند الأنبياء (عليهم السلام) في حواراتهم مع من الذين يرسلون اليهم وكيف حاور نوح عليه السلام ابنه . وكيف تأدب نوح عليه السلام مع ربه . وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين .

الباحث

المصادر

١. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن / عبد الباقي فؤاد / دار الكتب القرآنية / ١٤٠١ / ١٩٨١.
٢. لسان العرب / أبو الفضل جمال الدين / محمد بن مكرم / دار الصياد / بيروت ،
٣. معالم في منهج الدعوة / صالح بن عبد الله بن حميد / دار الاندلس الخضراء / ١٤٢٠ / ١٩٩٩.
٤. الحوار في القرآن / محمد حسين فضل الله ، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت . ١٩٩٦.
٥. المفردات في غريب القرآن / أبو القاسم الحسن بن محمد الاصفهاني ، مكتبة نزار / ١٤١٨ / ١٩١٩.
٦. مقاييس اللغة / أبي فارس / تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة الباني الحلبي واولاده .
٦. بحار الانوار / المجالس / ج ١ / ص ٨٥.
٧. الكشف / الزمخشري ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، ١٤١٧ هـ.
٨. تفسير بن كثير / اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي / دار طيبة للطباعة والنشر ، ١٤٢٢ / ٢٠٠٢.
٩. من هدى القرآن / محمد تقي المدرسي / دار القارئ للطباعة والنشر .
١٠. كلمة الله / السيد حسن شيرازي ، دار ميرزا طهران
١١. الطبراني في الاوسط / مكتبة المعارف الرياض
١٢. المقاصد الحسنة / الحافظ شمس الدين / دار الكتب العربية بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٥.
١٣. الايتان في علوم القرآن / جلال الدين السيوطي / منشورات دار العربي / ايران / مم.
١٤. البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي / تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم / دار الاحياء الكتب .
١٥. كتاب العين الخليل بن احمد الفراهيدي / تحقيق مهدي المخزومي و ابراهيم السامرائي / مطبعة مصر ١٩٨٩ م.
١٦. تفسير التحرير والتنوير / محمد بن طاهر بن عاشور / الدار التونسية للطباعة والنشر .

١٧. تفسير الامثال /ناصر مكارم الشيرازي / الناشر مدرسة الامام علي عليه السلام .
١٨. مواهب الرحمن عبد الاعلى الشيرازي ،مطبعة الديواني ١٤١٠/١٩٩٠
١٩. جامع البيان في تاويل القرآن / محمد بن صرير الطبروي / دار الكتب العلمية /بيوت ١٣٢١ / ١٩٠١.
٢٠. الكشف الزمخشري /مكتبة الغبان ،١٤١٨/ ١٩٩٨.

الهوامش :

- ١- سورة الحجر / ٤٧
- ٢- سورة الطور / ٢٤
- ٣- هم: (١) كعب بن مالك الانصاري ، شاعر اسلم قديماً وشهد العقبة ولم يشهد بدر ، منعه الخزرج التدر والتسويق. (٢) مرارة بن الربيع الانصاري، تخلف بسبب أن له بستان ايعنت ثمارها فحدثته نفسه : كيف أترك الشجر والظل والثمر وأخر الى الحر والحرب. (٣) هلال بن أمية ، صحابي من الانصار ، تولى تكسير الاصنام في المدينة ، كان مجتمع مع اهله في بيته ومستأنس بهم فترك الخزرج مع النبي (ﷺ) . ينظر : سيرهم عن سيرة اعلام النبلاء ، محمدي ، بحد بن عثمان الذهبي ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ج٥، ص٥٤١.
- ٤- سورة التوبة / ١١٨
- ٥- ينظر فنون الحوار والامتناع ، محمد راشد دميّاس ، دار أبّن حزم ، ١٩٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ط١، ص١١.
- ٦- سورة المجادلة / ١
- ٧- لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (حوار)
- ٨- ينظر الحوار في القرآن الكريم ، محمد حسين فضل الله ، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٩٦، ٢٨٢-٨٣.
- ٩- ينظر فنون الحوار والامتناع، محمد راشد دميّاس ، ج٤، ص١٠٧-١١٧.
- ١٠- ينظر : مقاييس اللغة: ، ابي فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة الباقي الحلّي واولاده، مصر ، ط١، ١٩٦٩.
- ١١- سورة الزخرف/ ٥٨
- ١٢- سورة غافر / ٤
- ١٣- سورة النحل / ١٢٥
- ١٤- سورة العنكبوت/ ٤٧
- ١٥- سورة هود / ٧٤-٧٥
- ١٦- ينظر : الحوار في القرآن الكريم ، محمد حسين فضل الله ، ص٨٢-٨٣
- ١٧- سورة الحجرات / ١١
- ١٨- سورة الانعام / ١٠٨
- ١٩- سورة البقرة / ٣٠-٣١

- ٢٠- سورة البقرة / ٣٣-٣٤
- ٢١- سورة البقرة / ٣٣-٣٤
- ٢٢- ينظر الحوار في القرآن الكريم ، محمد حسين فضل الله، ص٨٢-٨٣.
- ٢٣- بحار الانوار ، محمد باقر المقدسي، مؤسسة دار الأحياء والتراث، بيروت، ج١٨، ص١٦١
- ٢٤- سورة البقرة / ٣٠-٣٣
- ٢٥- ينظر : تفسير الكشف ، الزمخشري ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ج١، ص١٢٩
- ٢٦- سورة البقرة/٣٣-٣٤ . سورة الكهف /٤٩-٥٠.
- ٢٧- سورة يوسف / ١٠٠
- ٢٨- ينظر : تفسير التحرير والتنوير ، محمد طاهري عاشوري ، الدار التونسية للطباعة والنشر ، تونس ، ١٩٨٤، ج٣، ص٢٢٦. ينظر: تفسير الامثل في كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي. ينظر من هدى القرآن ، محمد تقي المدرسي ، ج٤، ص٤٨/٤٦.
- ٢٩- ينظر من هدى القرآن ، محمد تقي المدرسي ، ج٤، ص٢٩.
- ٣٠- سورة هود / ٣٥
- ٣١- سورة هود / ٢٣-٤٨
- ٣٢- تفسير الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي ، ج٦، ص٥٣٥-٥٣٧.
- ٣٣- سورة تبارك / ١١
- ٣٤- ينظر : من هدى القرآن ، محمد تقي المدرسي ، ج٤، ص٣٢-٣٥.
- ٣٥- سورة البقرة / ٢٦٠.
- ٣٦- ينظر : مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، عبد الاعلى السبزواري ، مطبعة الديواني ، ١٤١٠، ج٤، ص٢٩٥.
- ٣٧- ينظر : من هدى القرآن ، محمد تقي المدرسي ، ج١، ص٢٤٣-٢٤٤.
- ٣٨- سورة الأعراف / ١٤٣
- ٣٩- ينظر : مواهب الرحمن ، عبد الاعلى السبزواري ، ج٤، ص٢٩٤-٢٩٥.
- ٤٠- التحرير والتنوير ، محمد طاهر العاشور ، ج٢٤، ص١٣٢.
- ٤١- ينظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج٥، ٣٠٨٠. نقلاً عن مجلة البيان ، العدد ٣٤٥، جمادي الاولى ١٤٣٧، شباط ٢٠١٦.